

أنبياء إسرائيل
النبوة وصياغة المجتمع المعاصر

سفر يوشع

الدكتور القس مكرم نجيب

يوئيل وانسكاب الروح

اسم "يوئيل" فى العبرية (Yeel) ويعنى "يهوه هو الله"، وفى السبعينية وال فولجاتا (Toel) أما فى الانجليزية (Joel). والسفر يحتوى على كلمات نبوية بمناسبة كارثة مزدوجة، هى نكبة الجراد ثم موجة القحط التى سادت البلاد والناجاة عن النكبة الأولى. ثم يتجه الفكر إلى وصف الأزمنة الأخيرة والتى تسمى "يوم الرب" حيث انسكاب الروح ودينونة الأمم.

النبي

لا نعرف شيئاً كثيراً عن كاتب هذا السفر سوى أنه من مملكة يهوذا، ومن سكان أورشليم. ويظن البعض - أمثال Gunkel و Mowinckel انطلاقاً من الجو الليتورجى الذى يحيط بالسفر - أنه كان كاهناً، لكن البعض الآخر يرى أنه كان نبياً وليس كاهناً، وهو الرأى الأدق تقريباً. ورغم أنه من حيث صغر حجم



كتاباته وضع بين الأنبياء الصغار، إلا أنه من أشهر كتاب العهد القديم بل وأكثرهم إثارة. إذ كان رجلاً مرهف الشعور، متقد الغيرة، نافذ البصيرة، لغته العبرية فصيحة بليغة، أسلوبه الإنشائى سهل سلس، مجلو دقيق، حلو الجرس، مزدان بأنواع المجاز الأنيق. من الناحية الوصفية لا يدانى، إذ أن لغته تصويرية قوية التبرات، واضحة المعانى.

قيل إنه من عائلة من العائلات اليهودية البارزة. كما أن عبرانيته من أعلى الطبقات، وهذا يتضح من درجه لاسم والده فى العدد الأول لسفره (١ : ١)

"قول الرب الذي صار إلى يوثيل بن فنوثيل". لكننا نجد على الوجه الآخر حقيقة مثيرة حول كتاباته تخطف انتباهنا لحظة، وهو أنه العبراني الأخير الذي دوّن اسمه في كتاب النبوة. وبهذا أحدث تغييراً هاماً في الطابع الديني لليهود ... كيف؟

ولمحاولة معرفة كيفية هذا التغيير، يجب أن ندرك أن الحركة النبوية بين اليهود شيء فريد في ميدان الحياة الدينية والفكرية في الشرق القديم. فمن موسى حتى ارميا، كان الأنبياء هم السلطة الروحية العظمى بين الناس، لهم الكلمة العليا والقول الفصل والمرجع الأول والأخير في كل شيء. ولكن في عام ٦٢١ ق.م. حدثت حركة مضادة أرادت أن تخرج الأنبياء من سلطتهم ومراكزهم، أما يوثيل فاستمر إلى نهاية المطاف آخر الأنبياء.

هذه الحركة المضادة تتمثل في أنه في عام ٦٢١ ق.م. السابق الذكر، وُجد كتاب الشريعة في هيكل أورشليم، وأعلن يوشيا أنه ناموس الأمة. وقبل أن يُكتشف كتاب الشريعة، كان الاعتماد على التقليد الشفوي، والناموس المنقول أو المحفوظ لموسى المسمى (Reported Law of Moses) وتفسيرات هذا الناموس المختلفة، وقرارات وأحكام الملوك، ثم تعليم الأنبياء الذين هم بمثابة إعلان لفكر الله وإراداته. لكن عندما أكتشف كتاب الشريعة، بدأ صوت النبوة في الضعف، ووقعوا تحت طائلة الناموس - مثل الملوك - طبقاً لموقفهم واتفاقهم مع شرائع الناموس وفرائضه. هكذا أصبحت الكلمة المكتوبة (أى الناموس) لا الكلمة الشفوية (أى النبوة) هي السائدة في فكر الشعب، والمسيطرة عليه، والنافذة فيه، وأصبح الشعب شعب الشريعة.

لكن هل هذه الحركة المضادة والمسماة Countermovement تعنى أنه لا يوجد أنبياء بعد عام ٦٢١ ق.م. بالتأكيد يوجد حبقوق، وإرميا، وحزقيال، وإشعيا الثاني، وبعض الأنوار البسيطة الأخرى. ولكن كل من هؤلاء تكلم إلى أمة بدأ فيها التبجيل والاحترام وهيبة الأنبياء في الضعف، كما بدأت الثقة في الكلمة المكتوبة في الازدهار والثبات. وهكذا بالتدريج عاد الشعب شيئاً فشيئاً إلى الشريعة كنبع الارشاد الروحي، وصار صوت النبوة في طريق اللاسمع.

ثم جاء يوثيل يفخر باليهود الشعب المختار، الذى له وحده قد أعطى الله كتاب الشريعة دلالة التفضيل وعلامة الرضى. وأن التمسك بالشريعة والطاعة لطقوسها وفرائضها وأحكامها هى الأمل الوحيد للإنقاذ والخلص. لدرجة أنه عندما تكلم عن خطايا الأمم، كان مختلفاً عن الأنبياء الآخرين. فمثلاً تكلم عاموس وميخا وأشعيا عن الظلم الاجتماعى، وحجى وزكريا عن الفشل فى إعادة بناء الهيكل، وعزريا نحيميا انشغلا بأمر أكبر من سؤال النقاء العنصرى، وملاخى كان يندر بخط الفشل فى قيادة الخدمات الوقورة للعبادة.

أما يوثيل فكان له الضمير الاجتماعى فى موضوع الظلم والاستغلال، لكنه ترك الموضوع بلا تركيز، وبدلاً من أن ينادى الشعب لكى يتوبوا نراه يتكلم عن الفرائض والشرائع والطقوس كطريقة للتوبة والرجوع (٢ : ١٢ - ١٧) "ولكن الآن يقول الرب أرجعوا إلىّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم ... اضربوا بالبوق فى صهيون قدسوا صوماً نادوا باعتكاف. اجمعوا الشعب قدسوا الجماعة احشدوا الشيوخ أجمعوا الأطفال وراضعى الثدي ليخرج العريس من مخدعه والعروس من حجنتها. لبيك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا أشفق يارب على شعبك ولا تسلم ميراثك للعار حتى تجعلهم الأمم مثلاً. لماذا يقولون بين الشعوب أين إلههم". من كل هذا يتضح أن يوثيل كان العبرانى الأخير الذى قُبِلَ كنبى يهوه الملمه.

الرسالة



أما رسالته فقد رأى أن نكبة الجراد علامة غضب الله وزجره للشعب، والأمل الوحيد فى الإنقاذ هو فى توبة الشعب القلبية والعودة إلى الشريعة، ويجب أن يدعو الكهنة الشعب إلى الهيكل لتقديم ذبائح مباركة (١ : ١٣).

وهو على ثقة أن الله سيسمع لصوت الشعب، وسيزيل القحط والجذب، ويعيد الحياة (٢ : ١٨ - ٢٧). ليس هذا فحسب بل إن روح الله ينسكب على كل جسد، ويגיע عصر تعم فيه القداسة ويسود فيه السلام. وقد سار الأنبياء بعده على نهجه، فكلهم بالإجماع ترقبوا من خلال نكبات الزمان الحاضر، مجد الأزمنة الأخيرة.

وتمتزج تصورات يوثيل النبوية الرؤوية بآرائه التاريخية حيناً، وتنفصل عنها أحياناً. فقد رأى بطرس في المظاهر السيكولوجية والروحية التي برزت للعيان يوم العنصرة تماماً لنبوثة يوثيل : (أعمال ٢ : ١٦ - ٢١ مع يوثيل ٢ : ٢٨ - ٣٢). ونكبة الجراد لم تكن إلا مقدم الصورة "ليوم الرب" (١ : ١٥، ١ : ١٠). ونجد هذه الفكرة في عاموس (عاموس ٥ : ١٨، ٨ : ٣) وإشعياء (إشعياء ٢ : ٥ - ٢٢) وصفنيا (صفنيا ١ : ١٤ - ١٨).

وقد حدّد يوثيل وادى يهوشافاط كمكان لمحاكمة كل الأمم على ما فعلوه لإسرائيل من تبديد للشعب وتقسيم للأرض وتدنيس للحياة (٣ : ١-٣)، وسيدان أهل صور وصيدون والفلسطينيون لأنهم باعوا عبيدهم العبرانيين لبني اليانانيين أو لليونانيين (٣ : ٤ - ١٦) وكذلك المصريون والأدوميون لأنهم سفكوا دمأ بريئاً (٣ : ١٩). ويلاحظ في كل السفر أن روح الله مقصور على شعبه. وكان يوثيل بدعوته للسلاح (٣ : ١٠) "أطبعوا سكاكم سيوفاً ومناجلكم رماحاً. ليقل الضعيف بطل أنا"، يشير إلى الحرب الأخيرة التي سبقت الدينونة.

التاريخ

وُجد سفر يوثيل كوحدة واحدة في كل المخطوطات العبرية والترجمات القديمة. كما أن أسلوبه الواضح وطبيعة محتوياته، وانتظام خلفيته التاريخية، كل هذه الأمور تريبناً بعض الاستنتاجات البسيطة، بل تؤكد اتفاق كل الباحثين على أن السفر ككل كُتب بواسطة يوثيل النبي.

لكننا لا نجد في السفر أموراً واضحة تحدد تاريخه، لذلك وضع التاريخ بنظرة تحليلية نقدية. فحيث أنه لا ذكر لآشور وبابل، لذلك يحتمل أن يكون

التاريخ بعد سقوط بابل عام ٥٣٩ ق.م. وحيث أنه ذكر اليونان ولكن ليست كقوة عظمى فى العالم (٣ : ٣) لذلك يكون التاريخ قبل عصر الاسكندر الأكبر. وبما أن صيدون لم تخرب بعد (٣ : ٤) فذكرها مع صور، ودائرة فلسطين، ومصر، وأدوم، والياوانيين، والسبائيين، دون ذكر الآراميين، والآشوريين، والكلدانيين، ودون ذكر المملكة الشمالية.

وبما أنه يدعو إلى التوبة دون الإشارة لخطية معينة بخلاف ما ينهج عليه الأنبياء الذين عاشوا قبل السبى، ثم يحث ويحض الشعب على الصوم، والبكاء والنوح (٢ : ١٢)، (نحميا ١ : ٤). كذلك اعتزاز اليهود الواضح بقوميتهم وبتفوقهم على غيرهم، وبتمييز الله لهم على غيرهم. هذه كلها أدلة تميل بنا إلى الاعتقاد أن يوثيل عاش حوالى سنة ٤٥٠ ق.م.

كذلك بما أن يهوذا وأورشليم فى السبى (٣ : ١)، ثم لا يذكر عبادة الأصنام، ولا يتعرض للكلام عن الملكية والملوك، بل يذكر خدمة العبادة فى الهيكل فى أورشليم. ويذكر كهنة وشيوخاً كأن الشيوخ والكهنة هم أصحاب الكلمة وقادة الشعب، وأولو الأمر، لا الملك كما هو واضح فى (١ : ٢، ١٣، ١٤)، (٢ : ١٧). وبما أن تعبير "اسرائيل" كان يستخدم ليهوذا المملكة الجنوبية (٣ : ١-٢)، وثم بناء سور أورشليم (٢ : ٩) والذى كان من نصيب وصميم عمل نحميا فى سنة ٤٤٥ ق.م. وبما أن هناك اعتبارات للغة والأفكار والتي يظن أن بعضها مقتبس من عوبديا وملاخى مثل مقارنة (يوثيل ٢ : ٣٢) مع (عوبديا ١٧)، (ويوثيل ٢ : ١١، ١٣) مع (ملاخى ٣ : ٤، ٢ : ٥). اذن يدعو هذا كله إلى الاعتقاد بأن السفر كتب بعد نحميا أى حوالى سنة ٤٠٠ ق.م.

التقسيم

يمكن تقسيم السفر إلى قسمين :

١-درس الجراد والجذب ١ : ١-٢ : ٢٧ الكارثة الحقيقية :

١-١ : ٢٠-٢٠.

٢-١ : ١١-١١.

٢-١٢ : ١٤-١٤.

٤-دع الكل يصومون ويصلون ٢ : ١٥ - ١٧ .
٥-الله يسمع الصلاة ٢ : ١٨ - ٢٧ .

٢-الأيام الأخيرة ٢ : ٢٨ - ٣ : ٢١ :

١-موعد الروح ٢ : ٢٨ - ٣ : ٢١ .

٢-الدينونة الأخيرة للأمم ٣ : ١ - ١٦ .

٣-النهاية ٣ : ١٧ - ٢١ .

ملحوظة على التقسيم : نلاحظ أن الأعداد (٢ : ٢٨ - ٣٢) فى النص العبرى تشكل الأصحاح الثالث، وأن الأصحاح الثالث يشكل الأصحاح الرابع.

الجراد وتفسيره

وُصفت النكبة التى سببها الجراد فى حياة الشعب الزراعية والاقتصادية والدينية، وصفاً علمياً دقيقاً كما يشهد كثيرون من الذين شهدوا مثلها (يوئيل ١ : ٤ - ٢٠) مع (عاموس ٧ : ١).
ويذكر يوئيل النبى فى العدد الرابع من الأصحاح الأول أربعة أنواع من الجراد، أو



أربع مراحل من نمو الجراد كما يقول البعض، يذكرها بتدرج من سىء إلى أسوأ إذ يقول : "فضلة القمص أكلها الزحاف وفضلة الزحاف أكلها الغوغاء وفضلة الغوغاء أكلها الطيار".

والغارات التى شنت من الشمال (٢ : ٢٠) استطاعت أن تغذى خيال النبى ومكنته من صياغة عبارات شعرية بليغة أخاذة وصف بها غزوة الجراد (٢ : ٤ - ١١)، (رؤيا ٩ : ٣ - ١١). فيقول : "ومن الدخان خرج جراد على الأرض فأعطي سلطاناً كما لعقارب الأرض سلطان. وقيل له أن لا يضر عشب الأرض ولا شيناً أخضر ولا شجرة ما إلا الناس فقط الذين ليس لهم

ختم الله على جباههم. وأعطى أن لا يقتلهم بل أن يتعذبوا خمسة أشهر. وعذابه كعذاب عقرب إذا لدغ إنساناً. وفي تلك الأيام سيطلب الناس الموت ولا يجدونه ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم. وشكل الجراد شبه خيل مهيأة للحرب وعلى رؤوسها كأكاليل شبه الذهب ووجوهها كوجوه الناس. وكان لها شعر كشعر النساء وكانت أسنانها كأسنان الأسود. وكان لها دروع كدروع من حديد وصوت أجنحتها كصوت مركبات خيل كثيرة تجري إلى قتال. ولها أذنان شبه العقارب وكانت في أذناها حمات وسلطانها أن تؤذي الناس خمسة أشهر ولها ملاك الهاوية ملكاً عليها اسمه بالعبرانية أبدون وله باليونانية اسم أبوليون".

هذا الوصف أوقع المفسرين والباحثين في حيرة أدت بهم إلى الاختلاف حول طبيعة الجراد وتتحصر آراؤهم كالاتي:

١- يعتقد البعض أن وصف يوثيل تعبير رمزي مجازي، وهذا الوصف يظهر في كتابات بعض المفسرين القدامى، اذ قالوا أن الجراد رمز إلى غزو الجيوش البشرية. ولهذا نجد على هامش مخطوطة يونانية في القرن السادس أن الجراد المذكور في يوثيل (٢ : ٢٥) "وأعوز لكم عن السنين التي أكلها الجراد الغوغاء والطيبار والقمص جيشى العظيم الذى أرسلته عليكم"، يرمز إلى جيوش الغزاة من مصريين وبابليين وأشوريين ويونانيين. لكننا لو أخذنا على سبيل المثال ما جاء في يوثيل (٢ : ٧) عن الرجال فيقول "يجرون كأبطال. يصعدون السور كرجال الحرب ويمشون كل واحد في طريقه ولا يغيرون سبلهم"، لو لاحظنا ذلك بأسلوب المقارنة بين الجراد والرجال لا يمكن أن نقول إنه تعبير مجازي.



٢- يعتقد البعض الآخر أنه تعبير رؤوى يتعلق بالأزمة الأخيرة. فالجراد يرمز إلى جيوش الغزو فى النهاية الرؤوية العظيمة المذكورة فى النصف الثانى من السفر. ولكننا أيضاً إذا لاحظنا كلام النبى نفسه فى (١ : ١٦) عن الجراد ونتيجته عندما يقول "أما انقطع الطعام تجاه عيوننا. الفرحة والابتهاج عن بيت إلها"، تأكد لنا أن الجراد أمر حقيقى فعلى ينظر إليه النبى كعلامة عن عدم رضى الله عن شعبه.

٣- غير أن معظم الدارسين للعهد القديم يعتبرون غزوة الجراد حدثاً تاريخياً مفزعا حدث فى عصر النبى، فنتج عنه انتعاش دينى ووعى رؤوى. وهذا

التفسير
الحرفى هو
السائد
والأدق.
وكان النبى
ينظر إلى
الجراد



كدينونة من الله متعلقة بالأزمة الأخيرة. أما وصف يوثيل للجراد كجيش أو جياد فيدل على شراسة الجراد وقوته وكثرتة الذى يمثل خطورة كبيرة للبلاد، وخاصة الصحراوية والبركانية منها، والتي تكون باستمرار تحت رحمة عوامل الطبيعة، ونزعات الفصول، وهجمات الحشرات.

وهكذا لم يترك الجراد إلا الجذب والفقر المدقع كما هو واضح فى تصوير الألم النفسى الذى كاد يحطم الشعب (١ : ٢ - ١٢، ١٥ - ٢٠، ٢ : ١ - ١١). لقد خجل الفلاحون، ولول الكرامون، يبست البهجة، ناحت الأرض. لذلك كان لابد لرسالة النبى أن تتأثر بظروف البلاد، وأن تتخذ من هذه الكارثة أعظم عبرة وأقوى عظة، ويقولون إن نكبات كهذه فى الطبيعة تسمو بالإنسان إلى الخالق.

ويؤنيل كغيره من كُتَّاب العهد القديم، يعزو الكوارث وينسب الشرور إلى ابتعاد الإنسان عن الله، فيدعو الشعب إلى توبة جماعية فيقول فى (٢ : ١٢ - ١٤) "ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إليّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم. وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر. لعله يرجع ويندم فيبقى وراءه بركة تقدمة وسكيباً للرب إلهكم". ولذا يتحدث عن أثر الخطية ونتيجتها فى حياة الأفراد أو الكنيسة كمنظمة دينية، هذا الأثر الذى يظهر فى خراب الأرض وفى هدر الكرامة الإنسانية وفى ذبول الفرح والبهجة فى بيت الرب.

لقد تحطم المكان، والكيان النفسى للأفراد، والأثر الروحى للعبادة، هكذا أتى الجراد على كل شىء. ألا نرى ذلك فى ذبول الصلاة العائلية؟ وذبول الولاء الكنسى فى حياة الشعب؟ وفى هروب الشباب؟ بل هل أكل الجراد العشور؟ وهل وصل إلى القيم الرائعة التى لنا من كفاح وشجاعة وغنى ونزاهة وصداقة ومحبة؟!

لكننا نرى بين (٢ : ١٧ و ٢ : ١٨) فترة انتقالية رحل فيها الجراد، فنمت المزروعات، وأزهرت وأينعت الأشجار، وتوشحت الأرض بحلة سندسية، وعادت الطبيعة إلى ما كانت عليه من رواء وبهاء ومجد (٢ : ٢٠ - ٢٤ ... الخ)، ورسخ إيمان التائبين أكثر من ذى قبل (٢ : ٢١ - ٢٦) "لا تخافى أيتها الأرض. ابتهجي وأفرحي لأن الرب يعظم عمله. لا تخافى يا بهائم الصحراء فإن مراعى البرية تنبت لأن الأشجار تحمل ثمرها التينة والكرمة تعطيان قوتهما. ويا بنى صهيون ابتهجوا وافرحوا بالرب إلهكم لأنه يعطيكم المطر المبكر على حقه وينزل عليكم مطراً مبكراً ومتأخراً فى أول الوقت. فتملأ البيادر حنطة وتفيض حياض المعاصر خمراً وزيتاً. وأعوض لكم عن السنين التى أكلها الجراد... فتأكلون أكلاً وتشبعون وتسبحون اسم الرب إلهكم الذى صنع معكم عجباً ولا يخزى شعبى إلى الأبد...".

يوم الدينونة

في هذا السفر نرى في فكر النبي تصوراً معيناً ليوم الدينونة. ويأخذ هذا الموضوع جزءاً كبيراً من تفكيره، وحيزاً ضخماً من كتاباته. فهو يؤمن بالله الذى يسيطر على كل أمم الأرض. ويعاقب الأمم الذين وقفوا موقف العداء من اليهود (٣ : ٤) "وماذا أنتن لى يا صور وصيدون وجميع دائرة فلسطين ... سريعاً بالعجل أرد عملكم على رؤوسكم". ومن هذا التعبير يبدو لنا أن الله لن يتجاوز عن الحقد والضغينة فى الشعوب المجاورة الذين "أعانوا الشر"

(زكريا ١ : ١٥)،
وكانت لهم يد فيه
(حزقيال ٢٦ : ٢)،
بل سيحاربهم "حسب
شر أفعالهم"
(مزمو ٢٨ : ٤).



بعد ذلك يطلب النبي

أن يجتمع الأمم للمحاكمة فى "وادي يهوشافاط" الذى يعنى فى لغته الأصلية "يهوه يدين" أو كما دعاه يوثيل نفسه فى (٣ : ١٤) "وادي القضاء"، أو طبقاً لهامش الترجمة الانجليزية "وادي الدراسات" مستمداً هذا التشبيه من الصيد كما هو مذكور فى (٣ : ١٣) "أرسلوا المنجل لأن الصيد قد نضج. هلموا دوسوا لأنه قد امتلأت المعصرة. فاضت الحياض لأن شرهم كثير". وهناك فى هذا الوادي سيحاكمهم الله.

لكن ... لماذا وادي يهوشافاط بالذات؟ ... لأنه كما يقول متى هنرى : "يليق بالمجرمين أن يحاكموا فى نفس البلاد التى ارتكبوا فيها جرائمهم". وعندئذ يتكرر ما عمله الله ليهوشافاط عندما نصره على الذين هجموا عليه، وأمدته هو وشعبه بمادة للفرح والتسبيح فى وادي البركة (٢ أخبار ٢٠ : ٢٠ - ٢٧). وفى هذا الوادي وادي يهوشافاط - كان جيش سنحاريب - أو جزء منه حسب رأى المفسرين - حالاً عندما أهلكه الملاك. لقد جاء ذلك الجيش

ليخرب أورشليم، لكن الرب دعاهم معا ليخربهم "ولا يفهمون قصده إنه قد جمعهم كحزم إلى البيدر" (ميخا ٤ : ١٢). لقد أساءوا إلى الله بعبادتهم الوثنية، لكن الله أراد أن يحاكمهم من أجل إساءتهم لشعبه كما هو واضح فى (يوئيل ٣ : ١ - ٨). لذلك صدر عليهم الحكم من نفس طبيعة عملهم (٣ : ٨ و٧).

من كل هذا نتعلم أن شعب الله هم ميراثه، خاصته، نصيبه، كنزه أكثر من كل الشعوب (خروج ١٩ : ٥، تثنية ٣٢ : ٩)، هم ملكه لذلك سيحاكم بشدة كل من يتجرأ أن يدوس عليهم "لأن الرب قد تكلم" فله النعمة وهو يجازى (رومية ١٢ : ١٩).

قال البعض أن ما ذكر هنا من أنواع الخراب والدمار قد يشير إلى خراب سنحاريب، ونبوخذ نصر، وأنتيوخس ابيفانس، وإلى ضد المسيح بصفة خاصة، وكل أعداء المسيحية المتغترسين. لكن البعض من أفضل المفسرين قديماً وحديثاً يعتقدون أن هذه الآيات تشير إلى يوم الدينونة الأخيرة، تحت تشبيهه إشهاد الله للحرب ضد أعداء ملكوته، وجمعه حصاد الأرض. وهذان التشبيهان نراهما فى سفر الرؤيا (رؤيا ١٩ : ١١، ١٤ : ١٨). فى يوم الرب هو يوم الدينونة النهائية "يوم القضاء" أو حسب الترجمة اليسوعية "يوم القطع"، أو "يوم تقرير المصير" حسب الترجمة الإنجليزية. هناك فى وادى القضاء، سينال كل واحد منا ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً.

ويصحب هذا اليوم، التغيير العجيب فى مملكة الطبيعة فيقول يوئيل فى (٣ : ١٥) "الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها". كما أن لهذا اليوم التأثير البالغ، فبالنسبة للأشجار سيكون يوماً مرعباً إذ سيزمجر الأسد الخارج من صهيون "والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يعطى صوته فترجف السماء والأرض" (٣ : ١٦).

أما بالنسبة للأبرار، فسيكون يوماً مبهجاً فتشبع قلوبهم، وتثبت سعادتهم، وتكمل قداستهم، ويتمجد الله ويتعظم معهم "ولكن الرب ملجأ لشعبه وحصن لبني إسرائيل. فتعرفون أنى أنا الرب إلهكم ساكناً فى صهيون جبل قدسى وتكون أورشليم مقدسة ولايجتاز فيها الأعاجم فيما بعد" (٣ : ١٦ و١٧).

إن الله سيظهر في هذا اليوم بكل جلاله وأولاده ولشعبه فيعرفوه المعرفة الشخصية "فتعرفون أنى أنا الرب إلهكم"، والمعرفة الاختبارية إذ يكون "ملجأ لشعبه". وستتم قداسة الكنيسة التي بدأت في حالة جهادها بانتصارها النهائي، بانعزالها الكامل عن كل شرير أو شر إذ "لا يجتاز فيها الأعاجم في ما بعد".

بعد ذلك يعطى الله المواعيد المباركة التي تتم جزئياً في ملكوت النعمة وكنيا في ملكوت المجد إذ يبديد ويخرب الأعداء "مصر تصير خراباً، وأدوم تصير قفراً خراباً من أجل ظلمهم لبني يهوذا الذين سفكوا دمماً بريئاً في أرضهم" (٣ : ١٩). ثم تدخل الكنيسة عهد الشيع والارتواء المفعم بالخيرات الوفيرة "ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً والتلال تفيض لبناً وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماءً ومن بيت الرب يخرج ينبوع ويسقى وادي السنط" (٣ : ١٨). وعهد الديمومة المطلقة "ولكن يهوذا تسكن إلى الأبد وأورشليم إلى دور فدور" (٣ : ٢٠). ثم عهد الطهارة التامة "وأبرئ دمهم الذي لم أبرئه. والرب يسكن في صهيون" (٣ : ٢١).

التعاليم المستفادة

١ - نحن نتعلم من سفر يوئيل أن ندرك ادراكاً قاطعاً حاجتنا إلى اعتبار الله أنه المسيطر والمتحكم في مصيرنا البشري. فالكوارث والملمات - مثل ضربة الجراد وحالة القحط التي حدثت - تذكرنا باستمرار أن الله قريب منا سواء للبركة أو الدينونة. فهي دعوة صريحة لفحص النفس، ولتوبة الإنسان وللعودة إلى الله. إلى جوده ورحمته كما يبدو من (٢ : ١٤ و ١٣) "ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر. لعله يرجع ويندم فيبقى وراءه بركة مقدمة وسكيباً للرب إلهكم". وحالة العودة هذه لا نجد تعبيراً عنها أفضل من التذلل والانسكاب في صلاة وسط جماعة المؤمنين فيكون الحزن على الخطية قلبياً لا مظهرياً، وفي هذا ينادى النبي قائلاً: "اضربوا بالبوق في صهيون قدسوا صوماً نادوا باعتكاف" (٢ : ١٥).

٢ - كذلك نرى فى هذا السفر أيضاً أن غرض الله الكلى هو الانسكاب العظيم لروحه على شعبه "ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحى فى تلك الأيام" (٢ : ٢٨ و٢٩) إن عطية الروح هى أعظم عطية بالنسبة لكل بركات الطعام والأمان (٢ : ٢٦). لأنه من خلال هذه العطية المباركة أعطى الله نفسه لشعبه. وحق امتلاك هذه العطية للجميع من الكبير إلى الصغير، ومن السيد إلى العبد، لكل من يُقبل ويقبل.

وهذا يتفق مع الحق الكتابى الواضح، ففى (أعمال ٢ : ١٦ - ١٨ و٣٩) "لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد كل من يدعوه الرب إلهنا" وكذلك فى (أشعيا ٤ : ٣ - ٥) "صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب. قوموا فى القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً. فيعلن مجد الرب. ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم". وفى (خروج ١٩ : ٥) "... فإن لى كل الأرض". وأخيراً فى (عدد ١١ : ٢٩) "... يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم".

من هنا تنطلق الفكرة الكتابية الجوهرية وهى كهنوت جميع المؤمنين. قد تختار السلطات الكنيسة أشخاصاً وقد تخطىء فى ذلك، ولكن الاختيار السليم يستند على المواهب التى يمنحها الله لنا (أفسس ٤ : ٧ و٨). أن كل المؤمنين ككنيسة هم كهنة وأنبياء وملوك. وعطية الروح القدس هى الإعداد والاستعداد لشعب الله تجاه الأيام الأخيرة (٢ : ٣٠ و٣١). ولقد اقتبس الرسول بطرس هذا الجزء لإتمام هذه النبوة فى يوم الخمسين (أعمال ٢ : ١٧ و٢١).

٣ - بعد دحر كل قوات الأعداء، سيدين الله كل الأمم، وستجد جماهير الأرض نفسها فى وادى تقرير المصير أو وادى القضاء (٣ : ١٤) وسيتم الله كل وعوده وإعلاناته لشعبه فيبارك كل جماعة المفديين

ويعاقب كل من يقف ضد إرادته المقدسة، كما أعلنها هو بكل وضوح
(٣ : ١٧ - ٢١).

٤ - يبدو لنا في معظم الأحيان أن يوثيل النبي يتمتع بقومية صارخة مدققة،
لأنه لم يصور لنا تجمع غير اليهود في ملكوت الله النهائي. ونحن لا بد
أن نلاحظ باستمرار أن الأنبياء بمختلف شخصياتهم ووجهات نظرهم
يؤكدون لنا خطة الله والحق الإلهي بمختلف وجوهه أيضاً. إن يوثيل
مهتم بارتباط الشعب بإعلان الله التاريخي لهم، أكثر من اهتمامه بأى
شئ آخر.

لكننا نبرر هنا، أن إتمام عهد الله مع إسرائيل، سواء بانسكاب الروح أو
بدينونة الأمم، نتيجة منطقية للإعلان الإلهي. فقد أعلن الله ذلك بلا
حزبية جائرة، وبلا تجزئة ممضة، وحدث انسكاب الروح "على كل
البشر" كما يقول يوثيل نفسه (٢ : ٢٨) أى "All Flesh" ثم أيد ذلك
بقوله في (٢ : ٣٢) "ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو...".

لقد أعلن يوثيل هذا الحق في قرينة ضيقة، بنفس الطريقة التي حصر
يسوع خدمته وقصرها في "خراف بيت إسرائيل الضالة" (متى ١٥ :
٢٤)، لكن الحق أنه أعلن خدمته وإرسالته لكل العالم، كما هو واضح
في كل القرائن الكتابية المختلفة الأخرى خاصة في فكر الرسول بولس.
وهكذا كانت نبوة يوثيل عن انسكاب الروح حقاً مباركة، وتمت بنفس
منطق العمومية في يوم الخمسين. كما أننا رأينا كيف أن تعليمه عن
الدينونة موافق ومتفق تماماً مع كل ما جاء عنه في العهد الجديد.

٥- أن هدف انسكاب الروح القدس هو خلاص البشرية " ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص" وفى (أعمال ٢ : ٢١) "يخلص" وفى (أعمال ٢ : ٣٨) "توبوا وليعتمد ... لغفران الخطايا". وقد يتفاعل



الروح فى حياتنا بأسلوب الملح فى هدوء ذويانه، وقد يظهر عمل الروح أحياناً بأسلوب النور فى قوة طرده للظلام. لكننا فى كل الحالات وبكل الأساليب نجد أن انسكاب الروح نتيجة طبيعية للتوبة.

٦- أن انسكاب الروح يتطلب وحدة الجماعة وهذا ما نراه فى (أعمال ٢ : ٤٦) "وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة...". ان روح الشركة من

أهم مظاهر وأبرز علامات وسمات الكنيسة الممتلئة بالروح. لقد استمتعت الكنيسة الأولى بشركة فى العبادة (أعمال ٢ : ٤٢) "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات"، وشركة فى الممتلكات (أعمال ٢ : ٤٤ و٤٥) "وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتركاً. والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج" وشركة فى الطعام (أعمال ٢ : ٤٦) "... وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب".

إن من ينظر لهذه الفقرة الرائعة من (أعمال ٢ : ٤٢ - ٤٧) يجد أن الاجتماع لكسر الخبز يتساوى مع الاجتماع للعبادة يتساوى مع الاجتماع للطعام والشركة يتساوى مع الاجتماع للتعليم ودراسة كلمة الرب، الكل على مستوى واحد من القدسية ومن الأهمية أيضاً. ان جو الشركة الذى يسود الكنيسة، سواء الشركة فى مفهومها الداخلى share in أى شركة المؤمنين فى شخص الرب يسوع، أو فى مفهومها

الخارجي Share out أى مشاركة المؤمنين لبعضهم البعض كما يكون لكل واحد احتياج، هو عنصر أصيل لتفاعل روح الله بين جماعة الرب.

٧- ان التنبؤ هو الرؤية الروحية البصيرة المنفتحة. إننا فى شركتنا مع الله وتفاعل روح الله فىنا نجد كشفا لإرادة الله وإعلانه. فعندما نقبل الله فى حياتنا يسكن روح الله داخلنا، والانسكاب والملاء هو انفتاحى أنا على روح الله الذى فى. إن روح الله فىنا سلطة تشريع، ونحن الأداة المنفذة أو السلطة التنفيذية، ولذا يمكن لنا أن نعطل سلطة الروح وسيادته على حياتنا، بل ويمكن أيضاً أن نلغى أو امره تماماً بعصياننا وعدم طاعتنا.

٨ - إن رسالة يوثيل الصارخة هى التوبة القلبية الصادقة، التوبة الفردية والجماعية. إن الخراب الذى حدث للشعب، وعدم إدراكه لواقعه المرير، يرجع إلى جهله بمكان الله الحقيقى فى الأحداث وبين شعبه. إن الله وسط شعبه قوة هائلة وهنا يقول الله على فم يوثيل "وتعلمون أنى أنا فى وسط إسرائيل وأنى أنا الرب إلهكم وليس غيرى ولا يخزى شعبى إلى الأبد" (٢ : ٢٧).

وأمام هذه الحقيقة يطلب النبى من الشعب العودة إلى الله "ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر" (٢ : ١٣). وإذا أدركنا أن القلب قد يقصد به الفكر أو العواطف أو الإرادة أو الشخصية ككل، فتكون التوبة هنا هى تمزيق الفكر الشرير والإرادة العنيدة والعواطف الجامدة. تمزيق كل الربط التى تربطنا بالشر وبالخطية فى العالم. وعندما يرى الله قلوبنا الممزقة كشقوق مفتوحة يدخل فيها هو بروحه ويسكن فيها ويحيينا، منقذاً إيانا من أهوال يوم الرب.

ونتيجة لهذه التوبة القلبية تأتي الآية التي هي مركز



السفر بل نقطة التحول الرئيسية فيه "فيغار الرب
لأرضه ويرق لشعبه" (٢ : ١٨) "ويجيب الرب ويقول
لشعبه هأنذا مرسل لكم قمحاً ومسطاراً وزيتاً لتشبعوا
منها ولا أجعلكم أيضاً عاراً بين الأمم...". (٢ : ١٩
- ٢٧).